

الخوارج

نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم

د. علي محمد محمد الصلابي

الخوارج

نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم

تأليف

د.علي محمد محمد الصَّلَّابي



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده و رسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71] .

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد...

أصل هذا الكتاب من كتابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قمت في هذا الكتاب بدراسة موضوعية علمية عن الخوارج، فبينت نشأة الخوارج وعرَّفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التي تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، في التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم. وأشرت إلى أهم صفات الخوارج في عهد أمير المؤمنين عليٍّ، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، وسوء الظن، وتكفير المسلمين وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلى رضي الله عنهما.

إن المنهج الأصيل في الدعوة إلى الله تعالى هو بيان الحق وكشف الباطل، وفهم الإسلام الصحيح من خلال العلماء والفقهاء والدعاة إلى الله تعالى ، كما أنه ينبغي التنويه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الصادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها في نصيحة أقوامها، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق للحق والعدل والقيم الإنسانية الرفيعة.

وعلينا أن نعمل لهذا الدين، وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامي من عثرته

وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجردون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصرته، وعملوا له، ودافعوا عنه، ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير. فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 9، 10] وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا ولكنهم غداً أعلام شامخة في رُبى الخلد. إن العواصف العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة وتريد تشويه تاريخنا، فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخي العصور؟ فهل يمكننا أن نستلهم من الدروس والعبر من تاريخنا، ما يخزي أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسانية تترنح في هذه الآونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله تعالى، والدواء عند المسلمين وحدهم، فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه، وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر

وعثمان وعلى وسائر أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة في دعم رسالة الحبيب صلى الله عليه وسلم التي استوعبت الزمن كله.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الخميس الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ 11 شوال 1435 هـ الموافق 7 أغسطس 2014 م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: 19].

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: 2]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد الصَّلاَّبِي

المبحث الأول:

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرّف أهل العلم الخوارج بتعريفات، منها ما بينه أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين أن خروجهم على عليّ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سمّوا له خوارج، خروجهم على عليّ بن أبي طالب لما حكم[1].

أما ابن حزم فقد بيَّن أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً[2].

---

[1] مقالات الإسلاميين (207/1).

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل (113/2).

وأما الشهرستاني: فقد عرَّف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان[1].

وقال ابن حجر معرفاً لهم: والخوارج الذين أنكروا على عليّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[2]، وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سُموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين[3].

أما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون لا حكم إلا لله ويقولون: عليٌّ كفر، يجعلون الكفر إلى أبي موسى الأشعري، ولا حكم إلا لله: فرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على عليّ رضي الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله[4].

أما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور[5].

---

(1) الملل والنحل.
(2) هدى الساري في مقدمة فتح الباري، ص (459).
(3) فتح الباري (283/2).
(4) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص (47).
(5) الخوارج، ناصر العقل، ص (28).

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب الحرورية[1]، والشراة[2]، والمارقة، والمحكمة[3]، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية[4].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة ذهب كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله من اليمن بذهبة في أديم مقرظ[5]، لم تحصل من ترابها[6]، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذه من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر**

---

[1] سموا بهذا الاسم لنزولها بحروراء في أول أمرهم.

[2] سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.

[3] سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

[4] مقالات الإسلاميين (207/1).

[5] أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.

[6] أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.

السماء صباحاً ومساءً»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة[1]، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «**ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**»، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس**[2]**، ولا أشق بطونهم**»، قال ثم نظر إليه وهو مُقفٍ[3]، فقال: «**إنه يخرج من ضِئْضِئ**[4] **هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، قال: أظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[5].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، في لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «**ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل**» [6]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه

---

(1) أي: مرتفع الجبهة.

(2) أي: أفتش وأكشف، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(3) مقف: أي مولٍ.

(4) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(5) أخرجه البخاري (232/2)، ومسلم (742/2).

(6) أخرجه مسلم (740/2).

وسلم، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[1]، وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد بن حزم[2]،

وكذا الشهرستاني في كتابه الملل والنحل[3]، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى[4]، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى[5]، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً[6].

---

(1) تلبيس إبليس، ص (90).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (157/4).

(3) الملل والنحل (116/1).

(4) عقيدة أهل السنة في الصحابة (1141/3).

(5) شرح العقيدة الطحاوية، ص (563).

(6) البداية والنهاية (202/7).

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على عليّ بسبب التحكيم فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات[1].

ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**»، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «**دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**[2]**، يمرقون من الدين كما يمرق**

---

[1] فرق معاصرة للعواجي (67/1)، خلافة علي، عبد الحميد، ص(297).

[2] تراقيهم: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.

السهم من الرمية[1]**، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه**[2]**، فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرث والدم**[3]**، أبتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة**[4] **تدردر**[5] **ويخرجون على حين فرقة من الناس»**، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته[6].

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهم أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو حناجرهم – يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في**

---

(1) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.

(2) رصافة: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه.

(3) يعني: مر مراً سريعاً في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.

(4) البضعة: القطعة من اللحم. النهاية في غريب الحديث (133/1).

(5) تدردر: أي ترجرج تجيء وتذهب. النهاية في غريب الحديث (112/2).

(6) مسلم (743/2، 744).

الفوقة[1]**، هل علقت بها من الدم شيء»**[2]، وروى البخاري من حديث أسير بن عمرو قال: قلت لسهيل بن حنيف: هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول: وأهوى بيده قبل العراق: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**»، ففي هذه الثلاثة الأحاديث ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم صلى الله عليه وسلم بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الثلاثة الأحاديث أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به صلى الله عليه وسلم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : لا يجاوز تراقيهم احتمالات:

1 - يحتمل أنه لكون لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

2 - يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[3].

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما

---

(1) الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.

(2) مسلم (743/2، 744).

(3) فتح الباري (618/6)، ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (159/7).

بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فوالله لأن أَخُرَّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان**[1] **أحداث الأسنان**[2]، **سفهاء الأحلام**[3]، **يقولون من خير قول البرية**[4] **لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[5].

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرى النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[6]، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا الحديثين دلا على أن إيمانهم

---

(1) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً، وكانت قصة الخوارج وقتلهم في النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة، فتح الباري (287/12).

(2) صغار السن، شرح النووي (169/7).

(3) ضعفاء العقول، فتح الباري (619/6).

(4) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم: يقرؤون القرآن.

(5) البخاري (281/2).

(6) فتح الباري (281/2).

محصور في نطقهم، وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به[1].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام، أنهم يمرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة، فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**»[2]، وروى حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالف قال: «**هم شر الخلق أو من شر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**» .

ومن صفاتهم التي ذُم بها الخوارج على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل[3]، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناساً إني لأعرف

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1183/3).

(2) مسلم (750/2).

(3) معناه: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ لكنهم أرادوا بها الإنكار على عليّ في تحكيمه. شرح النووي (173/7، 174).

صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم – وأشار إلى حلقه – من أبغض خلق الله إليهم، منهم أسود إحدى يديه طبي شاه[1]، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: انظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذب ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم[2].

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذماً لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه[3]، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم**»[4]، قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم : يتيه قوم قبل المشرق، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم[5].

---

(1) المراد ضرع الشاة.

(2) مسلم (749/2).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

(4) مسلم (750/2).

(5) شرح النووي (175/7).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها واقعة فيهم أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام، وترك عبدة الأوثان والصلبان[1]، فقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[2]، ناتئ الجبين[3]، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[4].

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

(2) مشرف الوجنتين: أي غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

(3) ناتئ الجبين: أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.

(4) البخاري (232/2)، ومسلم (741/2، 742).

وفي هذا معجزة باهرة للرسول صلى الله عليه وسلم حيث وقع منهم ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[1]، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه، على وفق ما وصفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم، وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[2]، وسيأتي الحديث في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين عليّ على تبصيرهم

---

[1] عقيدة أهل السنة والصحابة الكرام (1185/3).

[2] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (118/3).

وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها وعن أحوال الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدرعددها في رواية ببضعة عشر ألفاً، وحدد في رواية باثني عشر ألفاً[1]، وفي رواية بثمانية آلاف[2]، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفاً[3]، كما ذكر أنهم عشرون ألفاً[4]، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت بدون إسناد[5]، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم بجماعة المسلمين، فأرسل

---

(1) تاريخ بغداد (160/1).

(2) البداية والنهاية (280/7، 281)، إسناده صحيح، مجمع الزوائد (235/6).

(3) مصنف عبد الرزاق (157/10، 160) بسند حسن.

(4) تاريخ خليفة، ص(192).

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(303).

ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول: ... فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: 32]، قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، إن الحكم إلا لله، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة، فما الثانية؟ قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم. قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيءغير هذا؟، قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه،

أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: 95]، وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، قلت: وفي المرأة وزوجها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 35]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: 6]، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: «**اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله** »، والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرين والأنصار[1].

---

[1] خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي، ص(200) إسناده حسن.

نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

1 - حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، لأن القوم كانوا يعرفون بالقرآن، ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه، هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلام الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

2 - الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه، حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترضون؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم بداية المناظرة.

3 - معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

4 – تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنه في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

5 – التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق: فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال في بداية الأمر وقبل مناظرة: أتيتكم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم[1].

6 – إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[2].

7 – وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء: إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف – كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى – وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس من علم وقوة وحجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التي تأولها التفسير الصحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم[3].

---

(1) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي، ص(197) إسناده حسن.

(2) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص(339).

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(307).

8 – قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد[1]: هذا نص صريح من ابن عباس في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة – على حد علمي – قال بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة فذلك عند المذهب الخارجي وليس لهم دليل علمي موثوق على قولهم.

9 – تحديد المرجعية: في قول ابن عباس: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

---

(1) خصائص علي بن أبي طالب للنسائي، ص(200) إسناده حسن، للبلوشي.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم لهم، خرج أمير المؤمنين علي بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته – حسب زعمهم – وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم مباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه[1]، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[2]، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: 65]، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: 60].

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة 312/15- 313، صححه الألباني في إرواء الغليل (118/8، 119).

[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص(452).

وأعلن أمير المؤمنين على سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم إن لكم عندنا ثلاثاً:

1 - لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

2 - ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

3 - ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[1].

فقد سلَّم لهم أمير المؤمنين علي بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح[2]، ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما وربنا منه فماذا تريد؟ قال:

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (327/15، 328) والشافعي في الأمم (136/4) وتاريخ الطبري (688/5) بسند ضعيف للانقطاع غير أن للسند شواهد وقد توبع، قاله الألباني في إرواء الغليل (117/8، 118).

[2] الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد، ص(47).

أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: 35]، فأمه محمد أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية، كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف تكتب؟ قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب، فكتب، فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[1] [الأحزاب: 21].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكماً، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علي عليهم ذلك وبيَّن لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: 91] .

---

[1] مسند أحمد (656/2) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: 128]، فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحنون بها، وترجعون إليها، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي وكان من رؤوسهم فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت[1]، واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنسبي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26]،

---

[1] البداية والنهاية (312/7)، تاريخ الطبري (689/5).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ والآية التي بعدها: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: 44 – 45]، ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم أطيع الله كما أردتم وأثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته[1].

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: 103-105] والمقصود أن هؤلاء الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطأوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرهم فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم

[1] البداية والنهاية (312/7).

زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدر عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم، فكتبوا كتاباً عاماً إلا من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم من فرَّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[1].

ولما تفرَّق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك،

---

[1] البداية والنهاية (312/7، 313).

وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى[1]، وفي رواية كتبوا إليه: أما بعد: فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[2].

إن قضية إعلان الخوارج كفر علي وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير علي وعثمان وامتحان الناس بذلك[3].

---

(1) أنساب الأشراف (63/2)، بسند فيه ضعف وله شواهد.

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(319).

(3) المصدر نفسه، ص(318).

خامساً: معركة النهروان 38 هـ:

1 – سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ على الخوارج ألا يسفكوا دماً ولا يروعوا آمناً، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظراً لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدءوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعوراً يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، فأخذوه وسرية له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر

فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم[1]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصاحب قوماً هم أبغض إلى صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلق[2]، أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة ولم يكتفوا بهذا، بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا علياً[3].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[4]، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام 38 هـ[5]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[6].

---

(1) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (205/1، 206).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (310/15، 311) بسند صحيح.

(3) مجموع الزوائد (137/6، 138) إسناده صحيح.

(4) مصنف ابن أبي شيبة (308/15، 309) بسند صحيح.

(5) أنساب الأشراف 63/2 بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(322).

(6) تاريخ بغداد (205/1، 206).

2 – تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن ويحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» لو يعلم الجيش الذي يصيبونه ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما اتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله»**[1].

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أُمِرت بقتال المارقين، وهؤلاء المارقون[2].

---

(1) مسلم (748/2، 749).

(2) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، وقال المحقق: حديث صحيح، إسناده ضعيف، وللحديث شواهد. خلافة علي، ص(323).

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه ألا يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب – رضي الله عنه – يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[1]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر[2]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[3]، فجعل على ميمنته حجر بن علي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، ومعقل بن قيسي الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمائة قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على عليٍّ وكان على

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي (197/8)، خلافة علي، عبد الحميد، ص(324).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (327-325/15).

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(324).

ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبيسي وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه[1].

3 – نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص ابن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي[2]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليّاً[3]، وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة

---

[1] تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص(425) مختصر من البداية والنهاية.

[2] المصدر نفسه، ص(425).

[3] تاريخ الخلافة الراشدة، ص(425).

إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون[1] ، وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة 38/2/9 هـ[2]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تماماً في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقتلى أصحاب علي فيما رواه مسلم في صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[3] وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر[4] وجاء في رواية صحيحة أن أبا مجلز[5] قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش علي إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبي برزة[6]، فاسأله فإنه شهد ذلك[7]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر

---

(1) أخبار الخوارج، ص(21)، خلافة علي بن أبي طالب/عبد الحميد، ص(325).

(2) أنساب الأشراف (63/2) بسند فيه مجهول.

(3) مسلم (748/2).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (311/5)، تاريخ خليفة، ص(197) بسند حسن.

(5) لاحق بن حميد السدوسي البصري ثقة من كتاب الثالثة.

(6) نضلة بن عبيد الأسلمي صحابي مشهور بكنيته، مات سنة 65هـ.

(7) المعرفة والتاريخ (315/3)، تاريخ بغداد (182/1).

الروايات أنهم أصيبوا جميعاً[1]، ويذكر المسعودي أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة[2].

4 – ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه :

ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذي الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[3]، وفي رواية: حبشي، وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ أنها «تدردر» أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد[4]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي[5]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة «الجمل الصغرى» التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله

---

(1) أخبار الخوارج من الكامل، ص(338).

(2) خلافة علي بن أبي طالب، ص(329)، تاريخ خليفة، ص(197).

(3) مصنف عبد الرزاق (146/10).

(4) النهاية في غريب الحديث (12/21، 13) فتح الباري (294/12، 295).

(5) الملل والنحل (115/1).

عنهما، قتله عثمان بالبصرة وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[1]، إلا أنه قد ورد في رواية أن اسمه «حرقوس» أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك، هذا مالك، فقال علي: ابن من[2]؟ فلم يعرف أحد أباه، وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافع ذو الثدية كما قد جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعدما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[3]، كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن علياً رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم فإذا المخدج تحتهم جميعاً مما يلي الأرض فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله، وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[4].

---

[1] فتح الباري (292/12)، الإصابة (139/1).

[2] الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (155/23) بإسناد حسن، والبداية والنهاية (294/7، 295).

[3] خلافة علي بن أبي طالب/عبد الحميد، ص(334).

[4] مصنف ابن أبي شيبة (317/15، 319) بسند صحيح.

5 – معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بأن لا يتبع مدبراً، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل – أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حرورية –: لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان[1]، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة[2]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء[3]، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: 103، 104]، أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي (182/8)، بسند صحيح.

(2) تلخيص الحبير (47/4).

(3) فتح الباري (300/12، 301)، نيل الأوطار (182/8).

فكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية... ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: 26، 27] وكان سعد يسميهم الفاسقين[1]، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[2].

وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[3]، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً[4]، والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج وقتاله في الجمل وصفين، أن علياً رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في واقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتلهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا،

---

[1] صحيح البخاري، فتح الباري (425/8).

[2] مصنف ابن أبي شيبة (324/15، 325)، الاعتصام للشاطبي (62/1).

[3] مصنف عبد الرزاق (150/10)، مصنف ابن أبي شيبة (332/15) بسند صحيح.

[4] مصنف ابن أبي شيبة (320/15)، فتح الباري (301/12) له سند صحيح عند الطبري.

فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[1].

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي:

تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعد وأحكاماً، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة، واستنبطوا من هديه الراشد الأحكام والقواعد الفقهية في هذا الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة[2]، وروى هذا عن علي نفسه في قوله: أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة[3]؟ وقال الأحنف لعلي: يا علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناءً على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

---

(1) مجموع الفتاوى (516/28).

(2) التمهيد للباقلاني ص(229)، تحقيق مواقف الصحابة (295/2).

(3) مصنف عبد الرزاق (124/10).

1 – أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يعتمد به قتلهم، لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم، لا القتال، بينما يجوز أن يعتمد قتل المشركين والمرتدين[1].

2 – إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعاً حكم الرجل البالغ الحر، يقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين، لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[2].

3 – إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم، وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[3]، وفي رواية عبد الرزاق، أن علياً أمر مناديه فنادى يوم البصرة: لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً[4]، وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير

(1) المغنى (108/8 - 126).

(2) المغني (110/8) الأحكام السلطانية، ص60.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (236/15)، الفتح (57/13) إسناده صحيح.

(4) مصنف عبد الرزاق (123/10، 124)، تحقيق مواقف الصحابة (296/2).

بها، هو وعقبه ومن بعده[1]، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً[2].

4 – يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، ولم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسرب[3].

5 – ألا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب[4].

6 – ألا يهادنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مال بطلت الموادعة ونظر في المال، فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقه، وإن كان من

---

(1) نصب الراية 463/3، تحقيق مواقف الصحابة (297/2).

(2) المستدرك (155/2) سنده صحيح ووافقه الذهبي.

(3) الأحكام السلطانية، ص(60).

(4) الأحكام السلطانية، ص(60)، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (298/2).

خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم[1]، فإن علياً رضي الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

7 – إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها، كما بين علي رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة[2]، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين[3].

8 – إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود[4].

9 – لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين، لأن دار الإسلام تمنع ما فيها

---

(1) الأحكام السلطانية، ص (60) للماوردي.

(2) السنن الكبرى للبيهقي (180/8).

(3) مجموع الفتاوى (450/4).

(4) الأحكام السلطانية، ص (58) للماوردي.

وإن بقي أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة[1].

10 – لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذريتهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[2]، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه[3] وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد حرمت عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم: أفتسبون أمكم؟ – يعني عائشة – أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبيها فقد كفرتم[4]، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالصائل وقاطع الطريق، وبقي حكم المال والذرية على أصل العصمة[5]، والظاهر من المأثور عن علي رضي الله عنه جواز الانتفاع بسلاحهم، فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البختري قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي: لا تطلبوا من كان خارجاً من

---

(1) المغني لابن قدامة 10/8.

(2) سنن الدارقطني (26/3) صححه الألباني في إرواء الغليل رقم (1459).

(3) المغني (115/8).

(4) السنن الكبرى للبيهقي (179/8)، خصائص أمير المؤمنين للنسائي، ص (197) إسناده حسن.

(5) تحقيق مواقف الصحابة (300/2).

العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم[1]، وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم[2].

11 – من قتل من البغاة غسل وكفن وصلي عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعي وأصحاب الرأي[3].

12 – إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعي، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فُسّاق[4].

13 – يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك[5].

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (263/15).

[2] تاريخ الطبري، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (300/2).

[3] تحقيق مواقف الصحابة (301/2).

[4] المغنى (118/8)، تحقيق مواقف الصحابة /301/2).

[5] المصدر السابق.

14 – إذا غلب أهل البغي بلداً فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه[1].

15 – حكم وراثة الباغي من العادل:

لا يرث باغ قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغياً لقوله صلى الله عليه وسلم : «**القاتل لا يرث**»[2]، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه لأنه متأول في قتله[3]، وبهذا قال النووي[4].

16 – إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم جاز قتلهم، ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه[5]،

---

(1) المغني (119/8)، تحقيق مواقف الصحابة (302/2).

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الديات (883/2)، صحيح سنن ابن ماجه، رقم (2140).

(3) الأحكام السلطانية، ص 61.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).

(5) المغني (112/8).

وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي[1]، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة أن لا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن[2]، وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً كثير، فاجتمع رأيهم على ألا يقيموا على أحد حداً في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه[3].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).

(2) السنن الكبرى للبيهقي (174/8) بسند صحيح، تحقيق مواقف الصحابة (303/2).

(3) مصنف عبد الرزاق (121/10).

سابعاً: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

1 – الغلو في الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء**»[1]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما، يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن[2] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[3]، مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر[4]، وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن[5]،

---

(1) مسلم، كتاب الزكاة، شرح النووي، (171/7).

(2) الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.

(3) مرحضة: مغسولة، النهاية في غريب الحديث والأثر (208/2).

(4) تلبيس إبليس، ص (91).

(5) المصدر نفسه، ص (93).

فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وسيأتي مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً فإنه كافر مشرك مخلد في النار[1]، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم في حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم[2]، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً[3]، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهاً غريباً، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء، والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح[4]، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة

---

(1) الفصل لابن حزم، (191/4) الخوارج، ناصر السعوي، ص (183).

(2) الخوارج للسعوي، ص (183).

(3) تلبيس إبليس، ص (95) الخوارج للسعوي، ص (184).

(4) الخوارج للسعوي، ص (184).

الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**هلك المتنطعون قالها ثلاثاً**»[1]، فبهذا يتبيَّن لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا**»[2].

2 – الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[3]، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم[4]، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا

---

(1) مسلم، كتاب العلم، شرح النووي (220/16).

(2) البخاري، كتاب الإيمان، شرح الباري (931).

(3) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم، ص (114).

(4) الاعتصام (183/2، 184).

به علياً رضي الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة[1]، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال[2]، ومن جهالتهم الشنيعة أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه، ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة[3]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام[4]، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان[5]، قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[6]،

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (312/15، 313)، الألباني في إرواء الغليل (118/8، 119)، تلبيس إبليس ص(93).

[2] الخوارج للسعوي، ص (186).

[3] تلبيس إبليس، ص (93).

[4] فتح الباري (285/12).

[5] الخوارج للسعوي، ص (187).

[6] فتح الباري (301/12).

وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل[1]. وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده[2].

3 – شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها[3]، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين، ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي، حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره[4]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ، كل من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه حتى إنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضاً، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[5].

---

(1) منهاج السنة (464/3).

(2) نوادر الأصول، محمد حكيم الترمذي، ص (54)، الخوارج للسعوي، ص (881).

(3) الفتاوى (497/28).

(4) الخوارج للسعوي، ص (191).

(5) الخوارج للسعوي، ص (192).

4 – التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة.. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول صلى الله عليه وسلم : وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفراً[1]، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم[2].

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم[3]، وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[4]، وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو

---

(1) الفتاوى (73/19).

(2) منهاج السنة (62/3).

(3) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص (57)، الخوارج للسعوي، ص (191).

(4) البداية والنهاية (294/3).

البر التقي، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك؛ ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم[1].

5 – تجويزهم على النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز في حقه «كالجور»:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف – بزعمهم – ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه... وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ولا بحقيقة القرآن[2].

---

(1) الفتاوى (31/30/13).

(2) الفتاوى (73/19).

6 – الطعن والتضليل:

من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل[1]، فقد عد ذو الخويصرة نفسه أورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجور والخروج على العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال[2].

7 – سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله[3]، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصاً وأن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، لكفى به

(1) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (290/12).

(2) ظاهرة الغلو في الدين، ص (106).

(3) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (290/12).

داعياً إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس لأنه كثيراً ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده: العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق[1].

8 – الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حداً فظيعاً، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل[2]، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف[3]، فقد وصف

---

(1) ظاهرة الغلو في الدين، (106، 107).

(2) ظاهرة الغلو في الدين، ص (110).

(3) المصدر نفسه، ص (111).

الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[1]، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: 54]، فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم[2]، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

1 – التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصر: الخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»[3] والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج،

---

[1] فتح الباري (301/12).

[2] ظاهرة الغلو في الدين، ص (111).

[3] البخاري، كتاب الإيمان، فتح الباري (93/1).

أعني التشدد في الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين[1]، ومن مظاهر الغلو التعسير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم، وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعسير: الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع[2].

2 – التعالم والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر، التعالم والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل

---

(1) الخوارج، ناصر العقل، ص (130).

(2) ظاهرة الغلو في الدين، ص (241 - 249).

الناس[1]، وأدى التعالم والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم[2].

3 – الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثاً التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي، والانحياز له: قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم

(1) الخوارج، ناصر العقل، ص (129).

(2) المصدر السابق نفسه.

أنه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، وما الذي هوى بأصحاب ذي الخويصرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه وهذا مرض صعب[2]، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية بنجيع الدماء وشنوا الغارة في كل مكان[3]، إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما وأزالوا أعذارهم، ودحضوا شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[4]، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادىء هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

---

(1) تلبيس إبليس، ص (90).

(2) تلبيس إبليس، ص 91.

(3) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص 61.

(4) ظاهرة الغلو في الدين، (185).

4 – الطعن في العلماء العاملين:

يشهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشقاق الغائر، ولا شك أن للطعن في العلماء أسباباً منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطىء لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيىء ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن في العلماء قديماً وحديثاً ممن يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[1]، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرب من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب

---

[1] ظاهرة الغلو في الدين، (215 - 223).

أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[1]، إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواء شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذي يقول: وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[2]، وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثرة الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين[3]، فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟ أيبقى شباب أحداث، يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع؟

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشىء جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

---

[1] الفتاوى (137/32).

[2] شرح الطحاوية (740/2).

[3] أعلام الموقعين (283/3).

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤها وأحبارهم فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34] .

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماؤها خيارهم[1]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم[2].

5 – سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجاهل لا يتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصاً إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى؛ وهو آفة الآفات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق هواه ومبتغاه.. يكفي ذلك

---

[1] الفتاوى (284/7).

[2] الفتاوى (284/7).

لأن يطلق للظن السيىء الحبال، ويرخى له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه ويحتقر غيره فهو الصواب والكل خطأ وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناساً بلغ بهم سوء الظن مبلغاً غريباً عجيباً، حتى خرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتاً، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيىء آفة، ولكل آفة آثار وخطورة، والسيىء لا يلد إلا سيئاً.

* إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرض القلوب الذي توعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضيحة فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[1].

*كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفي فيهم.

---

(1) مسند أحمد (4/421 - 424).

* وأخيراً فالظن السيء يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسماً، فقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة[1]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: 12]، قال ابن كثير: يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً[2]، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً[3].

6 – الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثاً الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين، واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء

---

(1) ظاهرة الغلو في الدين، (201 - 211).

(2) تفسير ابن كثير (212/4).

(3) المصدر السابق نفسه.

بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

- المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- الجهل بفقه الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها: إن هذا الواجب قد يؤدى تارة بالقلب وتارة باللسان، وتارة باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله، وهو معتد في حدوده[1]، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود ولا بد في ذلك من الرفق ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد

---

[1] الفتاوى (127/28، 128).

أكثر مما يصلح، فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، والعلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال، وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه[1]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

– ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طرق الشدة هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل، ولا يترك إلا بعد أن تستنفد وسائله، لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهم حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس، لا سيما في دعوتهم وإرشادهم ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهم... كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب في المعاملة، واللين في القول، وحسن العشرة، والصبر عليهم والشفقة والرحمة بهم،

---

(1) الفتاوى (136/28، 137).

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: 14، 15].

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيراً في النفس من القول ونسوا أن خشونتهم في المعاملة، وتخليهم عن المساعدة، يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل، وأخيراً فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحياناً الأيادي، وذلك ليس بغريب إذا راجع الإنسان قليلاً دراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها وضلل بعضها بعضاً وكفر بعضها بعضاً، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس،

قال تعالى آمراً موسى وأخاه هارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: 43، 44]، تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين في بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:34،35].

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه وهو لاقيه لا محالة فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: 17].

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 108].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[1].

والرفق هو الأصل في الدعوة، وليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا فالشدة مواضعها بعد استنفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزله، وعصمه من هواه[1].

---

(1) مسند أحمد (362/4).

المبحث الثاني

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولاً: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قوياً وحجة ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[2] فالقارىء يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه إلا أنه بالرغم من ذلك فالذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمين للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري أثناء غيابه –كما ذكر في خطبته – ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ لم يستطع

---

[1] ظاهرة الغلو في الدين، ص (231 - 237).

[2] مسلم (2/ 745، 746)

رضي الله عنه، غزو الشام حتى استشهد[1] فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يُتّمت أطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن عليّاً على حق[2]، ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه[3]. ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين وإضعاف المسلمين عامة، وليس جيش علي فقط[4]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه – كما بيّنا – بحزم وقوة. ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيراً، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد في قومه من

---

[1] خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (345).

[2] المصدر نفسه (345)

[3] نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص (15، 16) مصطفى حلمي.

[4] خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (350).

بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه جيشاً بقيادة معقل بن قيس فهزمه وقتله[1] وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولا بد أن عليّاً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانقضت عليه أطرافه، وخافه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس[2].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المؤمنين على رضي الله عنه بالخوارج.

---

(1) تاريخ الطبري (6/27-47).

(2) المصدر نفسه (6/53).

* عامل أمير المؤمنين على رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي فساعده في السيطرة عليها[1].

* بعد مصر عن مركز أميرالمؤمنين على رضي الله عنه، وقربها من الشام.

* طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعيًّا، وقد أضافت مصر لمعاوية رضي الله عنه قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردّت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين عليّ من يصدها[2].

وعمل معاوية رضي الله عنه، على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاريه فيه فعزله[3]، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما

---

(1) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (83/3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (351) سنده صحيح.

(2) تاريخ خليفة، ص (198) بدون سند.

(3) ولاة مصر، (45-46).

حاول سحب زياد ابن أبيه عامل علي رضي الله عنه على فارس ففشل في ذلك[1] وقد استطاع معاوية رضي الله عنه، أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر علي رضي الله عنه إذ يقول في إحدى خطبه: إلا أن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللّهم إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم[2].

ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه، وتعتبر من عيون التراث لم يلقها من فراغ أو خيال، بل من مر تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنّتُه[3] الوثيقة. فمن تركه

---

[1] الاستيعاب (526-525/2).

[2] التاريخ الصغير للبخاري (125/1) بسند منقطع وله شواهد.

[3] الجُنة بالضم: الوقاية.

رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، ودُيّثَ بالصغار والقماءة[1]، وضرب على قلبه بالأسداد[2]، وأديل[3] الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[4] ومنع النصف[5]. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم[6] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شنّت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار[7] وقد قتل حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[8]، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[9]، فينتزع حجْلَها وقُلْبها وقلائدها ورغاثها[10]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع[11]، والاسترحام، ثم انصرفوا

---

[1] ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار.

[2] الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.

[3] أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به كوارث.

[4] سيم الخسف: أصبح محل الإذلال والمهانة.

[5] منع النصف: النصف: العدل. أي حرم العدل.

[6] عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل كلّ منكم أمر الجهاد إلى الآخر.

[7] الأنبار: بلدة شرقي الفرات.

[8] مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

[9] المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

[10] الحجل: الخلخل، القلب: السوار، الرغاث: جمع رغثة وهو القرط.

[11] الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء.

وافرين[1]، ما نال رجل منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً. فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً[2] حين صرتم غرضاً يُرْمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمّارة القيظ[3]. أمهلنا يسبّخ عنّا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُّر[4]، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كل هذه فراراً من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرون، فإذاً أنتم والله من السيف أفرّ يا أشباه الرجال ولا رجال[5]، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال[6]، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفةً والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً[7]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً[8]، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَبَ التهام أنفاساً[9]. وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل

---

(1) وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.

(2) ترحاً: هماً أو حزناً أو فقراً.

(3) القيظ: الحر، حمارة القيظ: شدته، يسبخ: يخفف.

(4) صبارة الشتاء: شدة البرد، القرَّ: البرد.

(5) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(6) حلوم: عقول، ربات الحجال: كناية عن النساء.

(7) سدم: الهمّ المشوب بالأسف والغيظ.

(8) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحنتم صدري: ملأتموه.

(9) النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة، التهام: الهمّ.

أحد منهم أشد لها مراساً منّي[1]، وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرّفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع[2].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رؤوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده، وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيداً عن الغموض والإبهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[3].

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه – وأعني بها التي تتحدث عن خلافته – تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما يلفيه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة أنها من تأليف ووضع الشريف الرضي[4]، فلا بد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدراً تاريخياً. هذا ومن ناحية أخرى أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله

---

(1) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(2) البيان والتبيين للجاحظ، ص (238، 239).

(3) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (59).

(4) ميزان الاعتدال (124/3) وله نقد جيد في هذا الموضوع، خلافة علي بن أبي طالب، ص (355).

ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن علياً رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول الله يوم غدير خم: «**ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالو: بلى، قال: «**فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»، فقام اثنا عشر رجلاً – وفي رواية – ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك[1]. وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[2]، قال الطبري في تاريخه: وفي السنة – 40 هـ – جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما – يذكرها الكتاب – على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[3].

---

(1) فضائل الصحابة (705/2) إسناده صحيح.

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (356).

(3) تاريخ الطبري (56/6).

ثالثا: دعاء أمير المؤمنين علي الله – عزّ وجلّ – أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه، ويبدو أن الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه[1]، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد، ورأى خذلانهم كره الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، فمما روي عنه أنه خطب يوماً فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته[2]، وقد ألح علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحموا على علي رضي الله عنه، حتى وطئوا على رجله فقال: إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني[3].

وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال: شهدت علياً وضع المصحف على رأسه حتى تقعقع الورق فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على خير أخلاقي، فأبدلهم بي شرّاً مني، وأبدلني بهم خيراً منهم ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء[4].

---

(1) التاريخ الصغير للبخاري (41/1)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (431).

(2) مصنف عبد الرزاق (154/10) بإسناد صحيح، الطبقات (4/3) بإسناد صحيح.

(3) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (37/1) بإسناد حسن، خلافة علي، ص (432).

(4) سير أعلام النبلاء (144/3).

وفي رواية: فلم يلبث إلا ثلاثاً أو نحو ذلك، حتى قتل عز وجل[1]، وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي في الليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[2]؟ قال: «ادع عليهم»، قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيراً منهم، وأبدلهم من هو شر مني لهم، قال الحسن رضي الله عنه : فخرج فضربه الرجل[3].

رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، التي تعد من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، إخباره بأن علياً سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[4]. وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليّاً سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضاً، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجلعليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علياً على ما سيحدث له، وقد آمن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بذلك، فمما حدث من

---

(1) المحن، ص (99) لأبي العرب، خلافة علي، عبد الحميد، ص (432).

(2) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

(3) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (649).

(4) مسلم (4/ 1880).

ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت علياً يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[1]، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، على من عاده في مرضه، وهو أبو فضالة الأنصاري البدري رضي الله عنه إذ قال علي رضي الله عنه: إني لست ميتاً في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أني لا أموت حتى تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته[2]، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة)[3] ، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[4]، وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقياً، عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص (648).

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (433) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

(3) دلائل النبوة (6/438-441) تحقيق عبد المعطي قلعجي.

(4) البداية والنهاية (7/323-325).

لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته، قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي[1]، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال:

اشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من القتل

إذا حلّ بواديكا[2]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تفيد أن عليّاً رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقتله، فيروي عبيدة السلماني، بسند صحيح إليه يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مرادى[3]

وفي رواية أخرى قال علي رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد[1]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول،

---

(1) كتاب الشريعة للآجري (2105/4) تحقيق الدميجي إسناده حسن.

(2) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص (648).

(3) طبقات ابن سعد (33،34/3) إسناده صحيح.

فاعتذر عن ذلك، فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت علياً يقول: لتُخضبنّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبير عترته[2] قال: إذاً تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أتركُكم إلى ما ترككم إليه رسول الله، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ – وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ – قال: أقول: اللهمّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[3]. وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنك ستضرب ضربة ههنا – وأشار إلى صدغيه – فيسيل دمه حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود**»[4].

---

(1) الاستيعاب (127/3).

(2) نبير عترته: نهلك ذريته.

(3) مسند أحمد (325/2) الموسوعة الحديثية، حسن لغيره.

(4) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص (163، 164)، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي - رحمه الله - بالصحة.

خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان. وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة[1]، لا تسلم من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعاً على أن عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجية انتقاماً لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعث الكندي – وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقاً – وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها، وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه.

1 – اجتماع المتآمرين:

كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله

---

[1] الطبقات لابن سعد (35/3)، تاريخ الطبري (58/6 إلى 66) بسند منقطع، مروج الذهب (423/3)، الطبراني (55/1-58)، مجمع الزوائد (249/6) تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدون للذهبي، ص (649)، وفيات الأعيان (218/7)، البداية والنهاية (325/7).

لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب – وكان من أهل مصر – وقال البُرَك بن عبد الله: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي صاحبه فيه يطلب[1].

2 – خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشّجنة:

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كِنْده، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تَيْم الربّاب – وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة – فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قَطَام ابنة الشّجنة – وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال – فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي،

---

[1] تاريخ الطبري (59/6).

فلك ما سألت، قالت: إني أطلب من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على عليٍّ، قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير عليٍّ لكان أهون عليَّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه – فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة – فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها عليّ سنة 40 للهجرة – فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس

قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلاً من همدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال عليٌّ: علي بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك، قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه : لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه[1].

3 – محمد ابن حنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

قال ابن الحنفية: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر قريباً من السدّة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على عليٍّ، فدخلت فيمن دخل الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم

---

(1) تاريخ الطبري (62/6).

مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسَمَمْته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[1].

4 – وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى:

عن عبد الله بن مالك، قال: جمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السّكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عِرْقاً منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[2] .

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك – ولا نفقدك – فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر[3].

5 – وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما:

دعا أمير المؤمنين علي حسناً وحسيناً، فقال: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، أغيثا الملهوف، واصنعا

---

[1] المصدر نفسه.

[2] الاستيعاب (1128/3).

[3] تاريخ الطبري (62/6).

للآخرة، وكونا للظالم وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم» ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[1]؟

قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: «أوصيك أي بنيّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش»[2].

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البين

---

[1] المصدر نفسه (63/6).

[2]

أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعون بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله والله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفىء غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، لا تخافنّ في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى الأمر أشراركم ثم تدعون لا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين[1]، وجاء في رواية أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[2]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد ضربة الشقي[1].

---

(1) تاريخ الطبري (64/6).

(2) التاريخ الكبير للبخاري (99/1) بسند صحيح.

6 – نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضي الله عنه : احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[2]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[3]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[4]، وقد كان علي نهى الحسن عن المثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقَتلنّ. انظر يا حسن، إن متُّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول: «**إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور**»[5]. وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة. كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتداً، فيأمر

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (439).

(2) فضائل الصحابة (560/2) بسند حسن.

(3) المحن لأبي العرب، خلافة علي بن أبي طالب، ص(439).

(4) الطبقات (35/3) تاريخ الإسلام.

(5) تاريخ الطبري (64/6).

بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله، وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[1]. وتذكر الرواية المشهورة: فلما قُبض على رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل عليًّا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله – أو قتلته – ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله[2]، ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[3].

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن ملجم، ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعنا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمارٍ محمّى، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمّك بملمولٍ مضٍّ، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: 1]. حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك فقال: ما ذاك منّي من جزع، ولكني أكره أن أبقى في الدنيا

[1] منهاج السنة (245/5) (405،406/7) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، ص (309).

[2] تاريخ الطبري (64/6).

[3] خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (440).

فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره مع شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السُجود[1].

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رضي الله عنه، خارجي مُفْتَر.. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العبّاد، ويقال: هو الذي أرسل صَبيغاً التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عمّا سأله من مستعجم القرآن.. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمّة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطّان الخارجي:

يا ضربة من تُقى ما أراد بها

إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه

أوفى البريّة عند الله ميزانا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل

---

[1] طبقات ابن سعد (39،40/3) الأخبار الطوال، ص (215).

الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[1].

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ قعد لمعاوية، فلما خرج يصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إليته، فأخذ، فقال: إن عندي خبراً أسرك به، فلأن أخبرتك فنافعني ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل عليّاً في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن عليّاً يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدي – وكان طبيباً – فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو ابن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة ابن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ماظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله[2].

---

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (654).

(2) تاريخ الطبري (65/6).

7 – مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنّه يوم قتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط: أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال ثلاثة أيام، ويقال أربعة عشر يوماً[1]، والذي يظهر أنها أربعة سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[2].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[3]، وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما فكبر عليه أربع تكبيرات[4] وفي رواية دون إسناد كبر عليه تسع تكبيرات[5].

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح[6]، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

---

(1) التاريخ، ص (199).

(2) التاريخ الكبير للبخاري (99/1) سنده، صحيح.

(3) المنتظم (175/5)، الطبقات (27/3).

(4) الطبقات (337،338/3).

(5) المنتظم (175/5).

(6) المنتظم (178/5).

* أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كنده قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر[1] .

* رواية مثلها، أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعمي موضع قبره[2].

* رواية تذكر أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلى المدينة[3].

* رواية تذكر أن القبر الذي بظاهر الكوفة المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت 178 هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت 297هـ)[4] ، وفي الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه بالنجف كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه بل قيل: هو قبر المغيرة ابن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصده أحد

---

(1) الطبقات (38/3)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (441).

(2) المنتظم (77/5)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء ص (651).

(3) تاريخ بغداد (137/1).

(4) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(441).

أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه – الأعاجم – بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة[1] وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه[2].

واختلف في سنّه يوم قتل، فقال بعضهم: وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه[3].

8 – خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين:

إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فساداً وخراباً، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفّروه وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بيّنا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وماعندهم في ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبيَّن لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي رضي الله عنه وعرفنا مناهجهم الفاسدة، فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة،

---

(1) الفتاوى (502/4)، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، (280).

(2) الفتاوى (446/27).

(3) تاريخ الطبري (67/6).

وتخمد نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة البدعة والمبتدعين، وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعز به الإسلام قديماً وحديثاً، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفرقة والمحدثات، وفرقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[1].

9 – الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم – يعني سيفه –: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنه هؤلاء الخوارج، لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنه أعظم المناقب وأجلّ السجايا، وانظر – رعاك الله – كيف تورد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يغتالون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان[3].

---

(1) سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد السحيباني، ص (77).

(2) تاريخ الطبري (62/6).

(3) سير الشهداء دروس وعبر، ص (78).

10 – تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدًّا، كيف تقدر على عليّ! قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. تقول رواية الطبري: فأجابه[1].

فانظر – رعاك الله – كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيباً لم ينشرح صدره لقتل علي لما يعلمه عنه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي رضي الله عنه لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له فكانت النتيجة إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان

---

[1] تاريخ الطبري (62/6).

على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، ملوثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإن لم يرض بهذه السبيل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم[1] كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: 27-29].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعاً لله تعالى، أواهاً منيباً وخط لنا طريقاً مباركاً للاقتداء والتأسي به.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الخميس الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ 11 شوال 1435 هـ الموافق 7 أغسطس 2014 م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، وقال تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: 2].

---

[1] سير الشهداء.. دروس وعبر، ص (79).

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، فالله هو المتفضل، وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين [النمل: 19].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصّلّابي

فهرس المحتويات

المبحث الثاني

مؤلفات الدكتور علي محمَّد الصَّلَّابي

1. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره.
7. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

12. الوسطية في القرآن الكريم.

13. الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار.

14. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

15. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

16. خلافة عبدالله بن الزبير.

17. عصر الدولة الزنكية.

18. عماد الدين زنكي.

19. نور الدين زنكي.

20. دولة السلاجقة.

21. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22. الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23. الشيخ عمر المختار.

24. عبد الملك بن مروان بنوه.

25. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26. حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27. وسطية القرآن في العقائد.

28. فتنة مقتل عثمان.

29. السلطان عبد الحميد الثاني.

30. دولة المرابطين.

31. دولة الموحدين.

32. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

33. الدولة الفاطمية.

34. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

35. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

36. إستراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

37. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

38. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

39. المشروع المغولي عوامل الإنتشار وتداعيات الإنكسار.

40. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

41 . الشورى في الإسلام.

42 . الإيمان بالله جل جلاله.

43 . الإيمان باليوم الآخر.

44 . الإيمان بالقدر.

45 . الإيمان بالرسل والرسالات.

46 . الإيمان بالملائكة.

47 . الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

48 . السلطان محمد الفاتح.

49 . العدالة والمصالحة لوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

50 . الحريات من القرآن الكريم.

51 . المعجزة الخالدة.

52 . الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها.

53 . البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

54 . التداول على السلطة التنفيذية.

55 . المواطنة والوطن في الدولة الحديثة السلمة.

56– الخوارج